السجع بين القبول والرفض

إعداد

د/محمد أحمد أبو زيد

مدرس البلاغة والنقد بالكلية

المقدمة

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فإن السجع المطبوع له أثره الطيب فى الكلام ، وهذا الأثر ناتج إما من تكرار الحرف الأخير فى الفاصلتين ، أو الفواصل ، وإما من اتفاقهما أو اتفاقها فى الوزن والحرف الأخير ، وإما من كون ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزناً وتقفية ، وهذا يمثل الموسيقى اللفظية الظاهرة بما تشتمل عليه من حسن إيقاع ، ونعومة جرس ، أو صلصلة صاخبة بما يتناسب مع الموقف ، فإذا مهر المتكلم ، وظهرت براعته فى إيجاد صفة التجانس بين ألفاظه ومعانيه ، وجدنا لكلامه انفعالاً ، يحدث حزنا أو بهجة أو حماساً حسبما يريد ، نلحظ ذلك فى المبدع والمتلقى معاً .

وقد اختلفت أقوال البلاغيين والنقاد فى السجع ، من حيث القبول والرفض ، ولكل فريق وجهته ، وهذا البحث يجمع شتات هذه الأقوال بصورة تقرب إلى الأذهان ، وتبرز شبه المانعين وأدلة المستحسنين ، وقد بدأ بأهمية السجع ، وشهرة اللغة العربية به ، وبيان مفهوم السجع فى اللغة ، والاصطلاح البلاغى ثم آراء العلماء فى استعماله فى الكلام :

أ - رأى المانعين - الشبه التى اعتمدوا عليها [اشتقاق السجع - ذم النبى ﷺ له - نهيه ﷺ عن استعماله فى الدعاء - اشتماله على الكلفة] .

ب- رأى المجوزين - الرد على شبه المانعين - ذكر أدلة تؤيد الجواز ، كما شفعت ذلك كله بتخريج الآيات القرآنية ، وكذا الأحاديث النبوية ، والشواهد الشعرية من مواضعها ، فضلاً عن توثيق آراء العلماء من مصادرها الأصلية ،

وقد راعيت فى عرض مسائل البحث حسن الترتيب ، ودقة التنظيم ،والبعد عن الاستطرادات التى لا تتصل بالبلاغة .

والله أسأل أن أكون من الموفقين ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ؛ إنه على ما يشاء قدير .

د / محمد أحمد أبو زيد

المدرس بجامعة الأزهر

السجع

تتميز اللغة العربية بطابعها الموسيقى الذى يتمثل فى تناسب إيقاعها الصوتى ، وتناغم نهاياتها التعبيرية ، كما يتجلى ذلك فى الوزن والقافية فى الشعر ، حيث يحقق الوزن إيقاعاً موسيقياً منتظماً يتردد فى كل بيت ، وتحقق القافية تماثلاً فى ختام البيت يتكرر فى عدد من الأبيات ، أو فى القصيدة كلها ، ويتجلى أيضاً فى النثر ، حيث تختم الفقرات بكلمات تتفق فى إيقاعها الصوتى ، مما يحقق أداءً موسيقياً عالياً يكسب التعبير جهارة وتدفقاً وتأثيراً .

وقد اشتهرت اللغة العربية باستخدام هذا الأسلوب التعبيرى فى نثرها منذ العصر الجاهلى ، وحتى العصور المتأخرة [١] وذلك لما للسجع من " أثر كبير فى حسن الكلام ، وقيمة كبرى فى انعطاف النفس نحوه ، وإصغاء الأذن إليه ، كما أنه إن أحسن استخدامه – يسهم بصورة فعالة بالغرض من العبارة .. هذا ومن أهم مزايا السجع أو رعاية الفاصلة إضافة إلى تأثيره النفسى – أنه يساعد على حفظ الكلام ، واختزانه فى الذاكرة لسهولة ترداده وتذكره ، ولذلك كان حفظ الشعر أيسر من حفظ النثر ، وحفظ النثر المسجوع أيسر من حفظ النثر المرسل " [٢] يقول الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) : " قيل لعبد الصمد بن عيسى الرقاشى : لم تؤثر السجع على المنثور ، وتلزم نفسك القوافى وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من

---

(١) دراسات فى المعانى والبديع دكتور / عبد الفتاح عثمان ص١٩١ مطبعة التقدم ١٩٨٣م .

(٢) دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية د/ عبد الجواد محمد طبق ص١١ ط أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م دار الأرقم للطباعة والنشر .

جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشرة " [١].

ومراعاة السجع أو الفاصلة قد يساعد على حسم خلاف فى حكم فقهى ، كما هو الحال فى عد آيات سورة الفاتحة ، فالمعلوم أن هناك اتفاقاً على أنها سبع آيات ، بنص القرآن الكريم [٢] لكن الخلاف فى كيفية العدد ، فالسبع عند الشافعية تكتمل باعتبار البسملة بدايتها ، وهو بهذا يراعى التناسب فى فواصل السورة [٣] أما أبو حنيفة فقد أسقط البسملة من العدد ، وجعل قوله " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " آية ، وهذا يترتب عليه إخلال بالفاصلة . يقول الزركشى : " يترجح مذهب الشافعى على مذهب أبى حنيفة فى عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسملة ؛ وذلك لأن الشافعى المثبت لها فى القرآن قال : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ ﴾ الخ السورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسقط البسملة من الفاتحة قال : صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " آية و" غير المغضوب عليهم " آية ، ومذهب الشافعى أولى؛ لأن فاصلة قوله :" صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ، ورعاية التشابه فى الفواصل لازم " [٤].

وللسجع منهج محفوظ ، وطريق مضبوط من أخلّ به ، وقع الخلل فى كلامه ، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة [٥] وهو فى اللغة مشتق من سجع الحمام يسجع سجعاً : هدل على جهة واحدة... وسجع الحمامة : موالاة

---

(١) البيان والتبيين ١٩٤/١ ط دار الفكر .

(٢) قال تعالى:﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ (سورة الحجر:آية ٨٧).

(٣) لأن فواصل السورة بنيت على الياء والنون أو الياء والميم .

(٤) البرهان فى علوم القرآن تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ٧٥/١ ط مكتبة دار التراث .

(٥) الإتقان فى علوم القرآن . السيوطى ٩٨/٢ دار فجر النيل للطباعة والنشر .

صوتها على طريق واحد ، تقول العرب سجعت الحمامة إذا دعت وطرّبت فى صوتها ، وسجعت الناقة سجعاً مدت حنينها على جهة واحدة [١].

وفى الاصطلاح البلاغى يطلق السجع على نفس الفاصلة الموافقة لأخرى فى الحرف الأخير منها ، ويطلق على توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير ، وقد أشار الخطيب (ت:٧٣٩هـ) إلى هذا بقوله : " هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[٢] فى الآخر ، وتوافق الفواصل من النثر كتوافق القوافى من الشعر ؛ لذلك قال السكاكى (ت:٦٢٦ هـ) : " ومن جهات الحسن الأسجاع ، وهى فى النثر كما فى القوافى فى الشعر " [٣] ومحصوله يعنى أن القوافى هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الأبيات، كذلك الأسجاع هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الفقر ، فكما أن القفية ثمة توافقها ، فكذلك السجع بمعنى المصدر ههنا توافقها [٤].

وإذا كان السجع فى اللغة مشتقاً من سجع الحمامة ، وهو ترجيعها مكاءها على حدو واحد ، وفى الاصطلاح الإتيان بمقاطع فصول الكلام على ألفاظ متوازنة متعادلة ، وكلم متوازية متماثلة ظهرت المناسبة بين المعنيين اللغوى والاصطلاحى .

والسجع معلم من معالم البلاغة العربية يرفع قيمة الكلام ، ويجعله أكثر حسناً ،وأقوى تأثيراً فى النفس ، لذلك قال العلوى (ت:٧٤٩هـ) : " السجع

---

(١) لسان العرب . ابن منظور ١٨٠/٦ سجع ط ثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٩ م دار إحياء التراث العربى .

(٢) الإيضاح ٢٢٢ ط دار الجيل ، شروح التلخيص ٤٤٥/٤ ط دار السرور بيروت .

(٣) مفتاح العلوم تح/ عبد الحميد هنداوى ص٥٤٢ ط أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤) كتاب المطول فى شرح تلخيص المفتاح . التفتازانى ص٤٥٣ مطبعة أحمد كامل . المكتبة الأزهرية للتراث .

من أرفع مراتب الكلام وأعلاها ، وأجل علوم البلاغة وأسناها ، ولهذا اختص به من بين سائر الأساليب البلاغية التذييل ، وأحاط بطويله وقصيره ، وكان الحسن فيه على أحسن هيئة وتذييل " [١].

ولعل العلوى أراد بقوله : " ولهذا اختص به من بين سائر الأساليب البلاغية التذييل " كثرة وروده فى القرآن كثرة فاقت غيره من الفنون البلاغية الأخرى ، " حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور " [٢].

وقد اختلفت آراء العلماء فى استعمال السجع فى الكلام بين القبول والرفض ، فمنهم من عابه ، وكره استعماله ، ومنهم من استحسنه واعتبره من وجوه التحسين ، والقول بوجود رأيين فى السجع من حيث استعماله فى الكلام أو تركه موجود فى كتب البلاغة قديمها وحديثها . يقول ابن سنان (ت: ٤٦٦هـ) : "وبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج فى الكلام ، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً " [٣].

ويقول ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ) : " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى ذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به " [٤]ويقول العلوى : " وفيه مذهبان : المذهب الأول جوازه وحسنه...المذهب الثانى استكراهه،وهذا شئ حكاه ابن الأثير " [٥].

---

(١) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٤١١/٢ ط أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد ١٩٥/١ ط ١٤١١هـ ١٩٩٠م المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .

(٣) سر الفصاحة ص١٧١ ط أولى ١٩٨٢م ١٤٠٢ هـ دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤) المثل السائر ١٩٥/١ .

(٥) كتاب الطراز ٤٠٧/٢ .

ويقول الدكتور / بسيونى فيود [١] : " ولا تفوتنا الإشارة بإيجاز إلى آراء العلماء فى أسلوب السجع من حيث الإباحة والحظر... فقد اختلفت آراء العلماء فى أسلوب السجع ، وعده من الأساليب التى تقوم أكثر ما تقوم على الصنعة وعلى التكلف والتعسف ، وهم يستولون على وجهة نظرهم هذه بما آل إليه حال البيان العربى من تدهور وانحطاط فى العصور التى شاع فيها استعمال السجع ... ومنهم من استحسنه ، ودافع عنه محتجاً بأنه لو كان مذموماً لما ورد فى النظم الكريم " [٢].

وواضح من جملة هذه الأقوال أن البعض يعلل لرأيه ، والبعض الآخر لا يعلل ، ومن خلال القراءة الواسعة لهذه القضية يمكن جمع الشبه التى اعتمد عليها من عاب السجع ، كذلك يمكن جمع الأدلة لمن استحسنه .

أولاً: الشُبه التى اعتمد عليها من عاب السجع

١- اشتقاق السجع . قال الرمانى (ت: ٣٨٦هـ) : " وإنما أخذ السجع فى الكلام من سجع الحمامة ، وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة كما ليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة " [٣].

قال شارح النكت : " معناه أن صاحب السجع لا يبالى ما ارتكب من المعانى بعد أن يستوى له أسجاعه ، فمعانيه إذاً هذر [٤] لا اعتداد بها ، وإنما

---

(١) أستاذ البلاغة والنقد فى كلية اللغة العربية بالقاهرة . جامعة الأزهر ، وأحد أعضاء اللجنة العلمية لترقية الأساتذة المساعدين .

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص٣٠٨، ٣٠٩ ط ثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م مؤسسة المختار . القاهرة . ويراجع : دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية ص١٧ الصبغ البديعى د/ أحمد موسى ص٤٦ ط ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م دار الكتاب العربى .

(٣) النكت فى إعجاز القرآن ص٩٨ ضمن : ثلاث رسائل تح/محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ط رابعة دار المعارف .

(٤) الهذر : الكثير الردئ أو سقط الكلام [لسان العرب ٦٥/١٥ هذر] .

الاعتداد بالأصوات المتشاكلة ، فصار فى مشاكلته بين أصواته مع خلوها عن معان يعتد بها كسجع الحمام ، لأنه ليس فى سجع الحمام إلا تشاكل الأصوات [١] وقال على بن خلف – شارحاً كلام الرمانى أيضاً – : " واستدل على سقوط السجع وخلوه من المعانى باشتقاقه من سجع الحمامة ، وقال : كما أنه ليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة فكذلك ليس فى سجع الكلام إلا الحروف المتشابكة " [٢].

وعلى هذا فخلاصة هذه الشبهة مبنية على التشبيه القائم على تشبيه خلو سجع الكلام من المعانى بخلو سجع الحمام من المعانى أيضاً .

٢- أن النبى ﷺ ذمه ، وذلك فيما ورد عنه عندما قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى فسقط ميتاً بغرة – عبد أو أمة – على عاقلة الضاربة ، فقال الذى أوجبها عليه : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ، ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ؟ [٣] فقال ﷺ : " أسجعاً كسجع الكهان " [٤].

فالرسول ﷺ ينكر السجع على من تكلم به ، وفى هذا دلالة على استكراهه ، إذ أنه لو لم يكن مكروهاً لما أنكره ﷺ على الأعرابى .

٣- ما ورد عن النبى ﷺ أنه نهى عن السجع فى الدعاء ، فقد روى عنه : " إياكم والسجع فى الدعاء " [٥] قال الأزهرى (ت: ٣٧٠هـ) :

---

(١) شرح رسالة الرمانى فى إعجاز القرآن لعالم مجهول كتابه الإمام / عبد القاهر الجرجانى ص١٠٤ كتنف عنه وعلق عليه د/ زكريا سعيد على ط : أولى ١٩٩٧م ١٤١٧هـ دار الفكر العربى .

(٢) مواد البيان لخ د/ حسين عبد اللطيف ص٢١١ منشورات جامعة الفاتح .

(٣) هكذا بالهاء الموجودة أى لا فيها له ، ويروى : يطل : من طل دمه بالضم أى يهدر .

(٤) كتاب الغريبين ٥٠٧/٢ ، والفائق للزمخشرى ١٩٧/١ والحديث فى مسند الإمام أحمد ٢٤٥/٤ برواية " أسجعا كسجع الأعراب "وفى سنن النسائى ٤٩/٨ ، والسنن الكبرى للبيهقى ١١٥/٨ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٢٩٩/١ " السجع الخطابة وكهانتها أرى "

(٥) الحاوى للفتاوى . للسيوطى ٢٤٧/١ المنيرية بيروت .

" روى عنه عليه السلام أنه نهى عن السجع فى الكلام والدعاء لمشاكلته كلام الكهنة ، وسجعهم فيما يتكهنون" [١].

٤- اشتماله على الكلفة . قال ابن سنان : " وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمل واستكراه ، فأذهب طلاوة الكلام ، وأزال ماءه " [٢].

وقال ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) عن السجع : " اختلف أرباب علم البيان فيه ، فمنهم من قال باستحسان السجع ، وفضله على الاسترسال فى الكلام ورجحه ، ومنهم من كره السجع وقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما : اشتماله على الكلفة ، والثانى : قوله ﷺ : " أسجعاً كسجع الجاهلية " [٣] وابن قيم الجوزية يقصد بـ من كره السجع وقبحه للكلفة الرمانى وإن لم ينص عليه ، فقد قال الرمانى : " وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة ، إذ كان الغرض الذى هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعانى التى الحاجة إليها ماسة " [٤].

وقال على بن خلف : " وأما أبو الحسن على بن عيسى الرمانى فإنه كره إيقاع السجع فى الكلام ، ولذلك لم يحده ، ولا قسمه ولا تكلم على ماهيته ، فأعلم ما عنده من خلاف ووفاق ، لكنه قال : إن مستعمل الأسجاع يضطر إلى أن يجعل المعانى تابعة لها ، وأن ذلك عكس ما توجبه الحكمة فى الدلالة " [٥] هذه هى الشبه التى اعتمد عليها من كره استعمال السجع وقبحه ، وفضل خلو الكلام منه .

---

(١) معجم لغة الفقه ١٦٣٣/٢ " سجع " لخ د/ رياض زكى قاسم ط دار المعرفة – بيروت – لبنان . أولى ١٤٢٢هـ .

(٢) سر الفصاحة ١٧١ .

(٣) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ٢٥٢ مكتبة المتنبى . القاهرة .

(٤) النكت فى إعجاز القرآن ص٩٧ .

(٥) مواد البيان ص٢١٠، ٢١١ .

ثانياً : الرد على هذه الشبه ممن استحسن السجع :

١- بالنسبة لشبهة الاشتقاق التى آثارها الرمانى ، فقد فندها "على بن خلف " وحضها ، حيث قال : " وأبو الحسن – رحمه الله – وإن كان الصدر الذى به يقتدى ، ومن مصنفاته يُستملى ، فإنه أطلق القول فى هذا الموضع إطلاق من سلم إلى عفوها حسه ، وبادره خاطره ، ولم يراجع قوله متعماً النظر فيه ، ولو أعطاه حقه من التأمل لهذبه وصقله ، ونقحه ، ونفى قذاه ، ونحن نقول فى كلامه هذا قولاً فصلاً ، ونحكم عليه حكماً عدلاً، فنقول : إن اشتقاق السجع فى الكلام الذى هو حروف متوازنة متعادلة ، وكلم متوازنة متقابلة ، صحيحة المبانى ، مبهمة المعانى ، من سجع الحمامة الذى هو أصوات متشاكلة ورجيعات متماثلة لا معنى تحتها غير موجب لتشابههما من جميع الجهات، وتضاهيهما من كل الصفات ؛ لأنه لو كان كل مشتق يطابق المشتق منه مطابقة المثل للمثل ، والعقيب للعقيب ، لما وقع التباين بينهما فى الدلالة على ما يدلان عليه ، وإنما العادة جارية أن يشتق الشئ من الشئ إذا وقعت بينهما مناسبة فى بعض الأحوال ، كاشتقاقهم من لفظة : إجنان الشئ . المتضمنة معنى الستر والتغطية تسمية عالم الأرض بالجن لاستتارهم عن الأعين، وتسمية القلب جناناً لتغطيه بما يستره ، وقولهم : جَنّ عليه الليل : إذا ستره بظلامه ، وتسمية الدرع جنة والترس مجناً لاستتار المحارب بهما مما يرد عليه من قرنه [1] ... وأمثال هذا الاشتقاق كثير نطيل بذكرها ، وكذلك الحكم فى التشبيه والاستعارة ، فإنهم يشبهون الشئ بالشئ وهم يريدون بعضه ، كتشبيه المرأة بالظبية ، وإنما يريدون

(١) وتسمية الولد الذى فى بطن أمه جنيناً لاستتاره فى الرحم والحشا ، وتسمية القبر جناناً لستره الميت ، وقد فرعوا على هذا الأصل فروعاً فسموا صنفاً من أصناف الحيات جاناً لزعمهم أن الجن تظهر فى صورة الحيات ، ونحو الإنسان الذى تعرض له الجن فتخبله مجنوناً [مواد البيان ص٢١١] .

جيدها وعينها ، والسيف بالجدول وإنما يريدون زرقته واطراده ، ومن ذلك ضحك الأرض إذا أنبتت ؛ لأنها تتفتق عن النور والزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر ، وتسميتهم طلع النخل إذا انفتق عنه كافوره الضحك ؛ لأنه يبدو كما يبدو ثغر الضاحك ، ومن اعتبر الاشتقاقات والتشبيهات والاستعارات الواقعة فى الكلام وضح له أن هذه سبيلها جميعاً ، وإنما اشتق سجع الكلام من سجع الحمام، لما يجمعهما من معنى التناسب فى التقسيم والتعديل ، وتوازن المقاطع لا من طريق خلو سجع الحمام من المعانى ، ولو قصد قاصد أن يؤلف كلاماً من حروف متشاكلة فى السمع لا تفيد جملته المركبة من اللفظ والمعنى لكان هاذياً ؛ لأنهم قد حدوا الكلام بأنه ما تألفت حروفه، وفهم تأليفه ، وأفاد سامعه ، وهذا يفسد قوله : إنه ليس فى سجع الكلام إلا الحروف المتشاكلة ، كما أنه ليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة ؛ لأنا نجد جميع الكلام المسجوع مفيداً ، وإنما يتفق أن يوجد فى بعضه استكراه ، أو ألفاظ موضوعة فى غير مواضعها " [1].

فالرجل أشاد بالرمانى ، وبأهمية مصنفاته ، ثم عقب على رأيه فى هذه المسألة بأسلوب يليق بمكانة كل منهما ، ويبرز احترام العلماء بعضهم البعض ، ويتلخص تعقيبه فى أن اشتقاق سجع الكلام من سجع الحمام لما يجمعهما من معنى التناسب فى التقسيم والتعديل ، وتوازن المقاطع لامن طريق خلو سجع الحمام من المعانى ، وذلك بعد أن قدم لهذه النتيجة بأن المشبه لا يلزم أن يكون مماثلاً للمشبه به من جميع الوجوه .

٢- أما بالنسبة لما يتعلق بحديث النبى ﷺ فى قوله للأعرابى : " أسجعا كسجع الكهان " فقد حمل على وجوه لائقة ، منها : ما ذكره أبو هلال العسكرى

(١) مواد البيان ص٢١١ وما بعدها .

(ت:٣٩٥هـ) وهو أن ذمّ النبى ﷺ لهذا النوع من السجع ، إنما جاء لما فيه من التكلف والتعسف.الذى يذهب بروعته ، ويجعل الاهتمام منصباً على الألفاظ وتناسقها ، دون المعانى ، حيث يقول : " وقول الكاهن : والسماء والأرض ، والقرض والقرض ، والغمر والبرض ، ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف ، ولهذا قال النبى ﷺ لرجل قال له : أندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، فمثل ذلك يطل : أسجعاً كسجع الكهان ... لأن التكلف فى سجعهم فاش ، ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعاً لقال : أسجعاً ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه ، وإذا أسلم من التكلف ، وبرئ من التعسف ، لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه "[1].

وعلى هذا فالنبى ﷺ : " لم ينكر السجع مطلقاً ، وإنما أنكر سجعاً مخصوصاً وهو سجع الكهان ،لأن أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية، والأوهام الظنية،على جهة السجع ، وتطابق أعجاز الألفاظ كما تراه يحكى عن شق أنمار وسطيح وغيرهما من الكهان"[2].

ويذكر ابن الأثير أن إنكار النبى ﷺ جاء رداً لإنكار الأعرابى الذى ينكر حكمه ﷺ فى هذه المسألة ، يقول ابن الأثير : " النهى لم يكن عن السجع نفسه ، وإنما النهى عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ... فالسجع إذاً ليس بمنهى عنه ، وإنما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن ، فقال رسول الله : أسجعاً كسجع الكهان ، أى أحكماً كحكم الكهان ، وإلا

---

(١) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر تح د / مفيد قميحة ٢٨٦/٢ ط ثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢) كتاب الطراز ٤٠٧/٢، ٤٠٨ .

فالسجع الذى أتى به ذلك الرجل لا بأس به ، لأنه قال : أندى من لا شرب ، ولا أكل ، ولا نطق ، ولا استهل ، ومثل ذلك يطل ، وهذا كلام حسن من حيث السجع ، وليس بمنكر لنفسه ، وإنما المنكر هو الحكم الذى تضمنه فى امتناع الكاهن أن يدى الجنين بغرة عبد أو أمة"[1].

ومسألة تكلف العبارة المسجوعة التى نطق بها الرجل ، أو عدم تكلفها مسألة ذوقية ، يختلف الحكم فيها من ذوق إلى آخر ، ولعل الغرض من هذه العبارة لو كان شريفاً ، ما كانت مذمومة عند الرسول ﷺ ولا عند أبى هلال ، وهذا مما يؤيد رأى ابن الأثير فيكون وجه الشبه على رأيه الحيدة عن الحق،والميل إلى الباطل[2].

ويدعم هذا ما ذكره البغدادى (ت: ٧١٦هـ) عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ ﴾[3] قال : " أى وما أريد به ، وله مجاز آخر ، أى ما ذكر عليه من أسماء آلهتهم ، ولم يرد به الله – عز وجل – جاء فى الحديث : " أرأيت من لا شرب ، ولا أكل ، ولا نطق فاستهل "[4].

فالأعرابى ينكر أن يدى من لم يستهل صارخاً ، ويسجع فى كلامه ، والرسول ينكر إنكار الأعرابى وصنيعه ؛ لأنه قابل به حكمه فى إيجاب ضمان الجنين ، كأنه قال : أحكم بحكم الله ، وتقابلنى بسجع كسجع الكهان .

وعلى آية حال : " فلا يمكن ترك هذا الأسلوب من الكلام لقصة عارضة من جهة الرسول ﷺ يمكن حملها على وجه لائق"[5].

---

(١) المثل السائر ١٩٧/١ .

(٢) دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية ص٥٢ .

(٣) البقرة من الآية : ١٧٣ .

(٤) الإكسير فى علم التفسير ، سليمان بن عبد القوى البغدادى تح/ عبد القادر حسين ص٣٢٨ ط سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م – دار الأوزاعى .

(٥) كتاب الطراز ٤٠٨/٢ .

لذلك " نرى أن النهى فى الحديث منصب على سجع الكهان ، لا لتكلفه فحسب ، كما قال أبو هلال ولا لما تضمنه من حكم كما قال ابن الأثير ، بل إنه قد عهد فى الكهان التمويه فى أحكامهم، وإنما يقصدون إلى السجع مصرين عامدين ، لأنه يخامر العقول ، ويخدر الأعصاب ، ويؤثر فى النفوس تأثير السحر ، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ، لما يحدثه من النغمة المؤثرة ، والموسيقى القوية التى تطرب لها الأذن ، وقمش النفس ، فيغفل العقل عن تمييز الصحيح من الزائف ، ويلهو الفكر عن تمحيص الحق من الباطل "[1].

٢- أما بالنسبة لما ورد عنه ﷺ من النهى عن السجع فى الدعاء، فيحمل على واحد من الأمور الآتية :

١- أن المقصود بالنهى من لم يملك رقاب الكلم ، ويجيد صناعة الكلام ، فهذا عليه أن يترك نفسه على سجيتها ، تناجى ربها وقت ما شاءت ، وبما شاءت ، وكيف شاءت .

٢- أن الدعاء فيه استغاثة وتضرع إلى الله ، والميل إلى السجع قد يجعل النفس مشغلة عن المراد فيفوت الغرض من الدعاء .

٣- أن النهى خاص بمن لا يملك نفسه عند الحاجة ، فيزيده بالسجع فقداً للشعور لما له من إيقاع صوتى تنفعل معه النفس ، فتجتمع عليه نشوة الحاجة ونشوة السجع فيخشى عليه أن يدعو على نفسه بدلاً من أن يدعو لها[2].

---

(١) الصبح المنبى د/ أحمد موسى ص٤٨ ، ٤٩ .

(٢) ولا قاض ﷺ كان يسجع فى دعائه ، ومن ذلك : " اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، إنك إلهى لا إله إلا أنت " [الجامع الصحيح للترمذى ٤٨٢/٥ حديث رقم ٣٤١٨ - كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا قام من الليل إلى الصلاة] .

٤- أما رفضه لاشتماله على الكلفة ، فلا ينهض دليلاً على كراهة السجع مطلقاً ، وإنما يخص نوعاً منه وهو المتكلف ، " الذى يضطر صاحبه إلى عكس الواجب فى تقديم العناية بالألفاظ على العناية بالمعانى ، دون غيره مما لا يدخله هذا العيب ولا يلم به، وما كان من الكلام هذه صفته ، فليس السجع بساقط فيه حسب ، بل المعنى واللفظ ، وإن كان غرضه ربما فهم بترديد النظر والتأمل وإعمال الفكر ، لأن الفضيلة إنما هى للكلام البين الذى يوصل المعنى إلى النفس بغير حائل ولا مهلة ، فالسجع ليس بمقصود لذاته متى استعمل على حقيقته وحده ، وإنما المكروه أن يتكلفه من ليس بمطبوع عليه فيوقعه فى غير موقعه ، أو من يقصد تحسين كلامه ، ويخل بإتقان معناه ، فأما إذا استعمله المطبوع المناسب له بغريزته ، الموفى للمبانى والمعانى حقها من التنقيح ، وتصيبها من التصحيح ، فوضعه فى موضعه وتم به معانى كلامه ، ونظمه فى سلك لفظه ، فلا مرية فى حسنه ومزيته ؛ لأن مقاطع الكلام إذا كانت ألفاظاً متوازية متممة للمعنى ، وقعت أحسن موقع من القلب والسمع "[1].

والقول باستكراه السجع أو غيره من فنون البديع ، إذا جاء متكلفاً قول لا خلاف فيه ، يقول العسكرى : " اعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ، ولا يلزمك فيها السجع فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن مالم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد "[2].

ويقول ابن سنان : " السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ، ولا أحضره إلا صدق معناه دون

---

(١) مواهب البيان ص٢١٣ .

(٢) كتاب الصناعتين ١٧٦/١ .

موافقة لفظه ، ولا يكون الكلام الذى قبله إنما يتخيل لأجله ، وورد ليصير وصلة إليه "[1].

والإمام عبد القاهر (ت:٤٧١هـ) يذكر أن الكلام الجيد الموشى بالبديع هو الذى لم يقصده المتكلم ويعمد إليه ، بل قصده المعنى ، وساق المتكلم نحوه [2] لذلك نراه يقول بعد أن ساق أمثلة للجناس والسجع الجيد ، وأظهر وجه الحسن فيها : " فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما ، وعثر به عليهما ، حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لدخل فى عقوق المعنى ، وإدخال الوحشة عليه ، فى شيء مما يتسبب إليه المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر [3] فالسجع وغيره إنما يحسن فى التعبير مالم يؤد إلى إضعاف المعنى وتفاهته ، ويجعل الاهتمام منصباً على الألفاظ دون المعانى فيضيع الأمران معاً .

وبعد تفنيد شبه الذين عابوا السجع ودحضها ، ذكر المستحسنون له أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه ، منها :

١- ورود السجع فى كلام العرب نثراً ونظماً ، فقد " كان للسجع منزلة سنية بين العرب فى الجاهلية ، فلقد كثر فى كلامهم ، وكان يصدر عن طبع سليم ، وسليقة قوية وفطرة واضحة " [4] لذلك قال العسكرى : " وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه فى منظوم كلامهم ، وصار ذلك

---

(١) سر الفصاحة ص١٧١ .

(٢) فهو يقول : " وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولاً " كتاب أسرار البلاغة تح / محمد محمود شاكر ص١١ ط أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م مطبعة المدنى .

(٣) كتاب أسرار البلاغة ص١٤ .

(٤) علم البديع . بسيونى فيود ص٣٠٦ .

الجنس من الكلام منظوماً فى منظوم ، وسجعاً فى سجع " [1] ومنه فى النثر قول قس بن ساعدة الإيادى فى سوق عكاظ : " أيها الناس اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج " [2] .

وقال أعرابى لرجل سأل لينماً : " نزلت بوادٍ غير ممطور ، وفناء غير معمور ؛ ورجل غير مسرور ، فأقم بندم ، أو ارتحل بعدم ، ودعا أعرابى فقال : اللهم هب لى حمقك ، وأرض عنى خلقك [3] .

ومن النظم قول امرئ القيس فى معلقته :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول حاتم الطائى :

أتعرف أطلالاً ونؤيا مهدماً ∴ كخطك فى رق كتابا منمنما

ومثل هذا النوع الفطرى كان كثير الاستعمال فى اللسان العربى ، يقول العلوى : " هذا النوع من علوم البلاغة كثير التدوار عظيم الاستعمال فى ألسنة البلغاء " [4] إلى جانب هذا السجع الفطرى ، وجد نوع من السجع المتكلف وهو سجع الكهان ، ومن أصحابه شق أنمار [5] وسطيح بن مازن [6] وغيرهما [7] .

---

(١) كتاب الصناعتين ٢/٢٨٩ .

(٢) كتاب الأغانى . أبو الفرج الأصفهانى ١٥/٢٤٧ ط وزارة الثقافة .

(٣) كتاب الصناعتين ٢/٢٨٧ .

(٤) كتاب الطراز ٢/٤٠٧ .

(٥) هو أحد كهنة العرب ، ومن كلامه فى تعبير رؤيا ربيعة بن نصر اللخمى أحد ملوك اليمن : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، ليولين أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طخلة البان ، وليملكن مما بين أبين وغمدان .

(٦) ومن كلامه : عند المسيح جاء آل سطيح ، وهو موف على الضريح ، لرؤيا الموبذان ، وارتجاس الإيوان .

(٧) ينظر: المثل السائر ١/١٩٧ ، كتاب الطراز ٢/٤٠٧، ٤٠٨ .

وقد صاحب ظهور الإسلام ظهور نوع جديد من السجع ، أغرق من سجع الكهان فى الكذب والضلال ، وأكثر منه اضطراباً فى النظم وسماجة التركيب ، وهو سجع مدعى النبوة ، مثل الأسود العنسى ، ومسيلمة الكذاب ، وسجاح بنت الحارث ، ومن سجع مسيلمة : " سبح اسم ربك الأعلى ، الذى يسر على الحبلى ، فأخرج منها نسمة تسعى ، من بين أحشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أجل ومنتهى ، والله يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى " (١).

٢- وروده فى القرآن الكريم " فلو كان مذموماً لما ورد فى القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه بالكثير ، حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة ، كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور " (٢).

ويذكر أبو هلال العسكرى ، وابن سنان أن سجع القرآن الكريم من أرقى أنواع السجع ، وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى الفصاحة والبيان ، يقول العسكرى : " وجميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة ، والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق " (٣).

أما ابن سنان فيقسم السجع إلى محمود دال على الفصاحة وحسن البيان ، ومذموم مرفوض ، ثم يقول : " فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه فى الفصاحة " (٤).

---

(١) ثمار القلوب للثعالبى ص١١٥ ط دار المعارف .

(٢) المثل السائر ١٩٥/١ ، وينظر: سر الفصاحة ١٧١ .

(٣) كتاب الصناعتين ٢٨٥/٢ .

(٤) سر الفصاحة ١٧٢ .

وإذا كان القرآن الكريم يهدف إلى جذب الأسماع نحوه ، والاستحواذ على القلوب لتصغى إلى ما يدعوها إليه ، فإنه اتخذ كل الوسائل المعينة على ذلك ، ومن أهمها حسن نظمه الصوتى (١) وليس من الخطأ فى الدين ولا فى البلاغة أن نقول : إن القرآن يهتم بالناحية اللفظية ؛ لأنها جزء من أسلوبه ، ولأنها من دواعى التأثير ، وتلك وظيفة القرآن الكبرى (٢).

وقد ورد السجع فى القرآن بصور مختلفة سواء من حيث الطول والقصر ، أو من حيث تساوى الفقرات وعدمه ، أو من حيث اتفاق الفواصل فى الوزن والحرف الأخير أو عدمه ، فمن حيث الطول والقصر جاء :

أ - السجع الطويل ، وهو ما كان مؤلفا من ألفاظ طويلة ... وتتفاوت درجاته فى الطول ، إذ يبدأ من إحدى عشرة لفظة فصاعداً ، قال ابن قيم الجوزية : " وأقصر الطول ما يكون من أحد عشر لفظة ، وأطولها غير مضبوط " (٣) ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا. وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (٤).

ب - السجع القصير ، وهو ما كان مؤلفا من ألفاظ قليلة ، إذ يبدأ بكلمتين

---

(١) دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية ص١٨ .

(٢) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية د/ محمد أبو موسى ص٣٦٩ - مكتبة وهبة .

(٣) الفوائد المشوق ٢٥١ ، وينظر: المثل السائر ٢٣٥/١ ، كتاب الطراز ٤٠٩/٢ .

(٤) سورة الفرقان : الآيات ١٢: ١٤ . وقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود:٩: ١٠، وقوله ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال ٤٣، ٤٤].

وينتهي إلى عشر كلمات ، قال العلوى : " أقل ما يكون القصير من كلمتين لا غير ، لأن ما نقص عن ذلك فليس مؤلفاً مسجوعاً "[١] وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات ، وما بين هذين متوسط [٢].

والسجع القصير أوعر أنواع التسجيع مسلكاً ، وأصعبها مدركاً ، وأخفها على القلب ، وأطيبها على السمع ؛ لأن الألفاظ إذا كانت قليلة فهى أحسن وأرق ، لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ، ولين معاطفها [٣] ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [٥].

ومعايير الطول والقصر قائمة على أساس ما ورد منه فى القرآن الكريم .

ومن حيث تساوى الفقرات وعدمه جاء منه :

أ- ما تساوت فقراته بحيث لا تزيد إحداهما عن الأخرى ، وأكثر ما يكون فى الفقرات القصار ، وهذا النوع هو ما عناه العسكرى بقوله : " والسجع على وجوه ... فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين لا

---

(١) كتاب الطراز ٤٠٩/٢ .

(٢) الفوائد المشوق ٢٥١ ، وينظر: المثل السائر ٢٣٥/١ .

(٣) كتاب الطراز ٤٠٩/٢ .

(٤) سورة المدثر الآيات ١: ٥ .

(٥) سورة النجم : الآيات ١: ٥ وما قبله : ﴿ والضحى . والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى ﴾ [الضحى ١: ٣] ولا يقال : إن القرينة الأولى من كلمة واحدة ، لأن واو القسم بمنزلة فعله .

يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه " [١] ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ. فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ. وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [٣] فهذه الفصول متوازية لا زيادة فى بعض أجزائها على بعض بلى فى القليل منها ، وقليل ذلك مغتفر لا يعتد به [٤].

ب – ما طالت الفقرة الثانية عن الأولى طولاً لا يخرجها عن حد الاعتدال، يقول العلوى : " الضرب الثانى أن تكون الفقرة الثانية أطول من الأولى بغاية قريبة ، فإن طالت فهو غير محمود ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾[٥] فالفقرة الأولى عدتها ثمانى كلمات ، والفقرة الثانية والثالثة كل واحدة منهما تسع كلمات [٦] ومثله قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [٧].

ج – ما طالت الفقرة الثالثة عن الأولى والثانية ، فمتى " كان السجع على ثلاث فقر ، وكانت الفقرتان الأوليان فى عدة واحدة وتقارب ، ثم يؤتى

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٨٧/٢ .

(٢) سورة الضحى : آية ٩: ١٠ .

(٣) سورة الواقعة : الآيات ٢٧: ٣٠ .

(٤) كتاب الصناعتين ٢٨٧/٢ .

(٥) سورة الفرقان : آية ١١: ١٣ .

(٦) كتاب الطراز ٤١٠/٢ ، وينظر: الفوائد المشوق ٢٥١ .

(٧) سورة النجم ١، ٢ .

بالثالثة ، فعلى هذا التقدير يغتفر طول الثالثة، وإن كان كثيراً زائداً على الغاية ؛ والسر فى ذلك هو أن الفقرتين الأوليين قد تنزلتا لقصرهما منزلة فقرة واحدة ، فلا جرم اغتفر طولها " [١] ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [٢] وقد تتساوى الأولى والثانية وتطول الثالثة كقوله : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [٣] وقد تقصر الثانية عن الأولى قصراً يسيراً كقوله :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [٤] وكل هذه الصور بليغ فى موطنه من الذكر الحكيم .

قال الزركشى (ت:٧٩٤هـ) : " وقالوا : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ؛ ليكون شبيها بالشعر ، فإن أبياته متساوية ... وعلته أن السمع ألف الانتهاء إلى غاية فى الخفة بالأولى ، فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد ، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده ، ثم ما طالت قرينته الثانية ... أو الثالثة " [٥].

ومن حيث اتفاق الفواصل فى الوزن والحرف الأخير أو اختلافهما جاء:

أ – السجع المطرف وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان أو الفواصل فى الحرف الأخير واختلفتا فى الوزن ؛ لأنه لا يلزم من الاتفاق فى الحرف الأخير – وهو

---

(١) كتاب الطراز ٢/٢١٠ وينظر: الفوائد المشوق ص٢٥٢ .

(٢) سورة مريم الآيات : ٨٨، ٩٠ .

(٣) سورة الحاقة ٣٠، ٣٢ .

(٤) سورة الفيل : آية ١، ٢ .

(٥) البرهان فى علوم القرآن ١/٧٧ .

المسمى بالتقفية هنا – الاتفاق فى الوزن، وسمى مطرفاً لأنه خارج عن التوغل فى الحسن إلى الطرف، بخلاف غيره ، أو لأن ما وقع به التوافق – وهو الاتحاد بين الفاصلتين – إنما هو الطرف ، وهو الحرف الأخير دون ما يعم وهو الوزن ، وقال العصام [١]: " سمى مطرفاً أخذاً له من الطريف وهو الحديث من المال ؛ لأن الوزن فى الفاصلة الثانية حديث ، وليس هو الوزن الذى كان فى الأولى [٢] وينبغى أن يكون المعتبر هنا الوزن الشعرى لا الوزن التصريفى ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[٣] فالفاصلتان : وقارا وأطوارا وزنهما مختلف ؛ لأن الحرف الثانى من الفاصلة الأولى متحرك ، ومن الثانية ساكن ، والروى واحد وهو حرف الراء .

ب– السجع المتوازى وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان أو الفواصل – فى الوزن ، وفى الحرف الأخير ، دون اتفاق باقى الألفاظ الأخرى فيهما مطلقاً ، أو على قلة ، وسمى متوازيا لتوازى لفاصلتين وزناً وتقفية دون رعاية غيرهما كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [٤] فإن " مرفوعة " و" موضوعة " متفقان وزنا وتقفية [٥].

---

(١) هو عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرايينى المتوفى بسمرقند حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى .

(٢) حاشية الدسوقى ٤/٤٤٧ .

(٣) سورة نوح : آية ١٣، ١٤ .

(٤) سورة الغاشية ١٣، ١٤ .

(٥) فإن اختلفا تقفية عرف باسم المتوازن كقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الصافات ١١٧، ١١٨ فلفظ " الكتاب " و" والصراط" متوازنان ، ولفظ " المستبين " و" المستقيم " متوازنان . [البرهان ١/٧٦].

ج – السجع المرصع وهو أن يكون ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزنا وتقفية ، قال ابن قيم الجوزية : " وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الأوزان متفقة الأعجاز "[١].

وسمى بالمرصع تشبيها له بالترصيع فى العقد ، وهو جعل إحدى اللؤلؤتين مثل اللؤلؤة المقابلة لها فيه[٢] قال ابن سنان : " وكأن ذلك شبه بترصيع الجوهر فى الحلى "[٣].

وقال أبو هلال العسكرى ذاكراً أنواع السجع ومشيراً إلى هذا النوع " ومنها أن يكون ألفاظ الجزئين المزدوجين مسجوعة ؛ فيكون الكلام سجعاً فى سجع ... وهذا الجنس إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع "[٤] ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾[٥] وقوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾[٦] وقوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[٧].

ولا حاجة بنا إلى تكثير الأمثلة السجعية فى القرآن ؛ لأنها أكثر من أن تحصى بعد ، أو تحصر بحد[٨].

---

(١) الفوائد المشوق ٢٥٣ .

(٢) شروح التلخيص ٤٤٧/٤ .

(٣) سر الفصاحة ١٩٠ .

(٤) كتاب الصناعتين ٢٨٨/٢ .

(٥) سورة الغاشية ٢٥، ٢٦ .

(٦) سورة العاديات : آية ٤، ٥ .

(٧) الانفطار ١٣، ١٤ . والزركشى يذكر أن الترصيع هو أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلمات ، والثانى مؤلفاً من مثلها فى ثلاثة أشياء وهى الوزن والتقفية وتقابل القرائن ، ويرفض أن يمثل له بقوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ " لورود لفظة إن " " ولفى " فى كل واحد من الشطرين . البرهان ٧٧/١ .

(٨) كتاب الطراز ٤١١/٢ .

٣- أن النظم القرآنى يسلك طرقاً متعددة مراعاة للسجع مع إفادته ما يمكن أن يفيده فى سياقه من أغراض أخرى ، يقول الزركشى : " واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع "[١] وقال السيوطى (ت:٩١١هـ) : " وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما "[٢] منها :

١- تقديم المعمول إما على العامل نحو: ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾[٣] أو على معمول آخر أصله التقديم نحو : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾[٤] إذا أعربنا الكبرى مفعول نرى ، أو على الفاعل نحو : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾[٥] ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٦].

٢- تقديم ما هو متأخر فى الزمان نحو:﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾[٧].

٣- تقديم الفاضل على الأفضل نحو:﴿ بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[٨].

---

(١) البرهان ٦٠/١ .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ٩٩/١ .

(٣) سورة سبأ : آية ٤٠ .ومثله ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة ٣٠، ٣١] يقول ابن الأثير : " تقديم الجحيم على التصلية وإن كان فيه تقديم المفعول على الفعل إلا أنه لم يكن ههنا للاختصاص ، وإنما هو للفضيلة السجعية " المثل السائر ٣٧/٢ ، وينظر: كتاب الطراز ٢٣٥/٢

(٤) سورة طه : آية ٢٣ .

(٥) سورة القمر : آية ٤١ .

(٦) سورة الإخلاص : آية ٤ .

(٧) سورة النجم : آية ٢٥ . ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(٨) سورة طه : آية ٧٠ .

٤- تقديم الضمير على ما يفسره ، وقال الزركشي فيه : تأخير ما أصله أن يقدم نحو : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ [١] فإنه لو أخر " في نفسه " عن " موسى " فات تناسب الفواصل [٢].

٥- تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ [٣].

٦- تقديم الجار والمجرور على متعلقه نحو : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [٤].

٧- حذف المفعول نحو : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ [٥] وقوله : ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ [٦] وقوله : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [٧] أي قلاك ، فحذف المفعول ؛ لأن فواصل الآي على الألف [٨] ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [٩] وهو مالم يقع في وهم الضمير من الهواجس ، ولم يخطر على القلوب من مخيلات الوساوس [١٠] والمعنى : يعلم ما أسررته إلى غيرك ، وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته

---

(١) سورة طه : آية ٦٧ .

(٢) البرهان ٢٣٤/٣ .

(٣) سورة الإسراء : آية ١٣ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ١٩ . لأن فواصل الآيات على النون .

(٥) سورة الليل : آية ٥.

(٦) سورة النجم : آية ٣٥ . فمفعولا " يرى " محذوفان والتقدير : فهو يرى الغائب حاضراً . وقال الزمخشري " فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق " [الكشاف ١٧٢/٣] .

(٧) سورة الضحى : آية ٣ .

(٨) البرهان ١٦٧/٣ وينظر: مفتاح العلوم ٣٣٥ ، الإيضاح ص٦٤ .

(٩) سورة طه : آية ٧ .

(١٠) البرهان ٢٣١/٣ .

بالك ، أو ما أسررته في نفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيها [١].

٨- حذف ياء المنقوص المعرف نحو :﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [٢] ، ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [٣] ومنه حذف ياء الفعل غير المجذوم كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [٤] قال ابن سنان : " وحذفوا الياء من يسرى والواد [٥] طلباً للموافقة في الفواصل " [٦].

٩- حذف ياء الإضافة نحو : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [٧] وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [٨].

١٠- زيادة حرف المد أو إيقاؤه مع الجازم : ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [٩] يقول الزمخشري : " الألف زائدة للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [١٠] ، ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [١١] وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس ، بزيادة ألف في الوقف ، زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال :

أقلي اللوم عاذل والعتابا ∴ وقولي إن أصبت لقد أصابا [١٢]

---

(١) الكشاف ٢٨/٢ .

(٢) سورة الرعد : آية ٩ .

(٣) سورة غافر : آية ٣٢ .

(٤) سورة الفجر : آية ٣ .

(٥) يعني من قوله : ﴿ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر : آية ٩].

(٦) سر الفصاحة ١٧٣ ، وينظر: البرهان ١٢٣/٣ .

(٧) سورة القمر : آية ١٦ .

(٨) سورة غافر : آية ٥ .

(٩) سورة طه : آية ٧٧ .

(١٠) سورة الأحزاب : آية ٦٧ .

(١١) الأحزاب ١٠ ، الكشاف ٤٤٢/٢ .

(١٢) الكشاف ٢٣٠/٣ وبجانب مراعاة الفاصلة نجد الغرض المعنوي ، ففي قوله تعالى : ﴿فأضلونا السبيلا ﴾ يقول الزمخشري : " وزيادة الألف لإطلاق الصوت ، جعلت فواصل الآي كقوافي

١١- صرف ما لا ينصرف ، كقوله تعالى : ﴿ قواريرا . قواريرا ﴾[1] صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثانى بالألف، فحسن جعله منوناً ليقلب تنوينه ألفاً فيتناسب مع بقية الآى [2].

١٢- إيثار تذكير اسم الجنس أو تأنيثه ، فالأول كقوله :﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [3] والثانى كقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [4].

١٣- زيادة هاء السكت نحو : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [5] وقوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [6].

١٤- الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما فى السبع ، كقوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ [7] وقوله : ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [8] ولم يجئ رُشْدا ، لأن الفواصل فى السورتين بحركة الوسط [9].

١٥- إيراد الجملة التى رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم

الشعر ، وفاتهما الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف " . [الكشاف ٢٤٨/٣] .

(١) سورة الإنسان ١٥، ١٦ .

(٢) البرهان ٦٦/١ .

(٣) سورة القمر : آية ٢٠ .

(٤) سورة الحاقة : آية ٧ .

(٥) سورة الحاقة : آية ٢٨، ٢٩ .

(٦) سورة القارعة : آية ٩: ١١ .

(٧) سورة الجن : آية ١٤ .

(٨) سورة الكهف : آية ١٠ .

(٩) وقد جاء فى الأعراف ١٤٦ : ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ .

بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

١٦- إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر نحو : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [2] حيث لم يقل: كذبوا ، لذلك .

١٧- إيراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [3].

١٨- إيثار أغرب اللفظين نحو : ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [4] ولم يقل جائرة وقوله : ﴿ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ [5] ولم يقل جهنم أو النار، وقوله : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ و﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴾ [6] لمراعاة فواصل كل سورة .

١٩- اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾[8]

٢٠- الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [9] أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما فى الخروج ؛ لأن فى ضمن شقاء الرجل – وهو قيم أهله وأميرهم – شقاءهم ، كما أن فى ضمن سعادته سعادتهم ، فاختصر الكلام بإسناده

---

(١) سورة البقرة : آية ٨ . حيث لم يطابق بين قولهم " آمنا " وبين ما رد به فيقول : ولم يؤمنوا أو ما آمنوا لذلك .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٤) سورة النجم : آية ٢٢ .

(٥) سورة الهمزة : آية ٤ .

(٦) سورة المدثر ٢٦، المعارج ١٥ .

(٧) سورة إبراهيم : آية ٥٢ .

(٨) سورة طه : آية ١٢٨ .

(٩) سورة طه : آية ١١٧ .

إليه مع المحافظة على الفاصلة [١].

٢١- الاستغناء بالمفرد عن الجمع نحو : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[٢] وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [٣] فلم يقل : أئمة وأنهار للفاصلة .

٢٢- الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [٤] أراد جنة ، وقوله : ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ [٥] فإنهما رجلان قدار وآخر معه ، ولم يقل : أشقياها للفاصلة [٦].

٢٣- الاستغناء بالتثنية عن الجمع نحو : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [٧] أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة، وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ [٨].

٢٤- جمع ما أصله أن يفرد نحو : ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [٩] فإن المراد : ولا خلة ، بدليل الآية الأخرى [١٠] لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآى [١١].

٢٥- تأنيث ما أصله أن يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾[١٢] وإنما

---

(١) الكشاف ٤٤٩/٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٧٤ .

(٣) سورة القمر : آية ٥٤ .

(٤) سورة الرحمن : آية ٤٦ .

(٥) سورة الشمس : آية ١٢ .

(٦) يراجع : البرهان ٦٤/١، ٦٥ ، الإتقان ١٠٠/٢ .

(٧) سورة الرحمن : آية ٤٦ .

(٨) ينظر : الإتقان ١٠٠/٢ .

(٩) سورة إبراهيم : آية ٥ .

(١٠) ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ البقرة : آية ٢٥٤ .

(١١) البرهان ٦٤/١ ، الإتقان ١٠٠/٢ .

(١٢) سورة المدثر : آية ٥٤ .

عدل إليها للفاصلة [١].

٢٦- إمالة ما أصله ألا يمال كإمالة ألف : ﴿ وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [٢] ليشاكل التلفظ بهما بما بعدهما [٣] ... وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ، كألف " تلا " فى قوله : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [٤] فأميلت ألف " تلاها " ليشاكل اللفظ بها اللفظ الذى بعدها،ومما ألفه غير ياء ؛ نحو : جلاها وغشاها [٥].

٢٧- العدول عن صيغة المضى إلى صيغة الاستقبال ، كقوله تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [٦] حيث لم يقل : وفريقا قتلتم [٧] .

٢٨- الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم ، مع ترك ذلك نحو :هو القادر وعالم الغيب ، ومنه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [٨] .

٢٩- إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو :﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [٩] أوثر على عجيب لذلك .

٣٠- إيقاع الظاهر موقع الضمير نحو : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [١٠] .

٣١- وقوع مفعول موقع فاعل : ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [١١] ، ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ

---

(١) البرهان ٦٥/١ .

(٢) سورة الضحى : آية ١، ٢ .

(٣) والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء والغرض الأصلى منها هو التناسب .

(٤) سورة الشمس : آية ٢ .

(٥) البرهان ٦٧/١ وينظر: الإتقان ص١٠٠ .

(٦) سورة البقرة : آية ٨٧ .

(٧) كما سوى بينهما فى سورة الأحزاب ٢٦ فقال : ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ .

(٨) مريم : آية ٦٤ .

(٩) سورة ص : آية ٥ .

(١٠) سورة الأعراف : آية ١٧٠ .

(١١) سورة الإسراء : آية ٤٥ .

مَاتِيًا ﴾ [١] أى ساتراً وآتيا .

٣٢- وقوع فاعل موقع مفعول نحو : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [٢] وقوله : ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [٣].

٣٣- الجمع بين المجرورات نحو:﴿لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [٤] فإن الأحسن الفصل بينهما ، إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا [٥] فإنه قد توالت المجرورات بالأحرف الثلاثة ، لأن الفواصل قبلها منصوبة منونة ، فلم يكن بد من تأخير "تبيعا " لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة [٦]

٣٤- تغير بنية الكلمة نحو " وطور سينين " [٧] والأصل : طور سيناء

٣٥- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [٨] فإن قوله " وأجل مسمى " معطوف على " كلمة " ولهذا رفع ، والمعنى : ولولا كلمة سبقت من ربك فى التأخير وأجل مسمى لكان العذاب لزاما ، لكنه قدم وأخر لتشتبك روءس

(١) سورة مريم : آية ٦١ .
(٢) سورة القارعة : آية ٧ .
(٣) سورة الطارق : آية ٦ .
(٤) الإسراء ٦٩.
(٥) الإتقان ١٠٠/٢.
(٦) البرهان ٦٢/١.
(٧) التين ٢.
(٨) طه ١٢٩.

الآى [١].

٣٦- إيقاع صيغة مكان أخرى نحو " وتبتل إليه تبتيلا " [٢] يقول الزمخشرى : " فإن قلت : كيف قيل : تبتيلا ، مكان تبتلاً ؟ قلت: لأن معنى تبتل : بتل نفسه ، فجئ به على أنه معناه مراعاة لحق الفاصلة" [٣] .

٣٧- قلب المعطوف ، بأن يجعل المعطوف عليه معطوفاً ، والمعطوف معطوفاً عليه نحو ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [٤] أى تدلى فدنا ، لأنه بالتدلى نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة ، لا إلى المكان . [٥] قال السيوطى : " قال ابن الصائغ : لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فإن القرآن العظيم – كما جاء فى الأثر – لا تنقضى عجائبه " [٦]

٤- وروده فى البيان النبوى ، ومن خلال القراءة فى كتب الأدب والبلاغة يتبين أن شواهد السجع من البيان النبوى تعد من أكثر شواهد البديع ، بل من أكثر شواهد الفنون البلاغية جميعها ، لذلك قال العسكرى وغيره " جاء فى كلام النبى ﷺ منه شئ كثير"[٧] وقوله " رحم الله من قال خيراً

(١) البرهان ٦٣/١ ، المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ابن عطية تح/ المجمع العلمى بفاس ١٠٠/٦مكتبة ابن تيمية ، الاتقان ١٠٠/٢.
(٢) المزمل ٨.
(٣) الكشاف ١٥٣/٤.
(٤) النجم ٨.
(٥) البرهان ٢٩٢/٣.
(٦) الإتقان فى علوم القرآن ١٠٠/٢.
(٧) كتاب الصناعتين ٢٨٨/٢ ، المثل السائر ١٩٥/١.

فغنم أو سكت فسلم " [١] وفى دعائه ﷺ :" اللهم إنى أدرأ بك فى نحورهم ،وأعوذ بك من شرورهم " [٢] وما روى عن عبد الله ابن سلام قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس قبله ، فقيل : قدم رسول الله ، فجئت فى الناس لأنظر إليه ، فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شئ تكلم به أن قال :" أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام" [٣] .

وقوله ﷺ : " لا تزال أمتى بخير مالم تر الفئ مغنما ، والصدقة مغرما" [٤]

وما روى عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : إنا لنستحيى من الله يا رسول الله ، قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا " [٥].

وقال العلوى : " فأما الأمثلة الواردة فى السنة النبوية فى التسجيع فهى كثيرة واسعة ، وهذا كقوله ﷺ : " هو أوضح دليل إلى خير سبيل " . وقوله :

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٨٩/٢ والحديث فى : الدرر المنثرة فى الأحاديث المشتهرة . السيوطى حديث رقم ٨٩ ط الحلبى .

(٢) الإيضاح ص٢٢٢ والحديث فى مسند الإمام أحمد ٤١٤/٤ ، السنن الكبرى للبيهقى ط بيروت ١٥٢/٩ برواية : اللهم إنى أجعلك فى نحورهم .

(٣) كتاب الصناعتين ٢٨٦/٢ ، أسرار البلاغة ١٣ ، المثل السائر ١٩٦/١ والحديث فى الجامع الصحيح للترمزى ٦٥٢/٤حديث رقم ٢٤٨٥. كتاب : صفة القيامة ، باب منه

(٤) كتاب أسرار البلاغة ص١٣ ، والحديث فى التاريخ الكبير للبخارى ٣٤/٧ تصوير بيروت ، التمهيد لابن عبد البر ٩١/٨ ط المغرب .

(٥) المثل السائر ١٩٥/١ ، ١٩٦ والحديث فى : الجامع الصحيح للترمذى٦٣٧/٤حديث رقم ٢٤٥٨ ، كتاب : صفة القيامة . باب منه مجمع الزوائد للهيثمى ٢٨٤/١٠ مطبعة القدسى ، ومسند الإمام أحمد ٣٨٧/١ .

" ألا وإن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور " ، وقوله : " وقد رأيتم الليل والنهار كيف يليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود " ، وقوله عليه السلام : " واعلموا أنكم عن قليل راحلون ، وإلى الله صائرون ، فلا يغنى عنكم هناك إلا عمل صالح قدمتموه ، أو حسن ثواب حرزتموه ، إنكم إنما تقدمون على ما قدمتم ، وتجازون على ما أسلفتم ، فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية ، عن مراتب جنات علية " إلى غير ذلك [١].

ومن كلامه ﷺ المسجوع أيضاً قوله : " يقول العبد : مالى ، مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو أعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت " [٢].

٥-كان عليه الصلاة والسلام ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ ، واتباع الكلمة أخواتها ومن ذلك قوله ﷺ للحسن والحسين : " أعيذكما من الهامة والسامة وكل عين لامة "[٣] وإنما أراد : ملمة ؛ لأن الأصل فيها من ألم فهو ملم ، فللمقاربة بين الألفاظ ، واتباع الكلمة أخواتها فى الوزن قال : لامة . قال أبو عبيدة : قال : لامة ، ولم يقل ملمة ، وأصلها من ألممت بالشئ تأتيه وتلم به ليزاوج قوله : من شر كل سامة ، وقيل : لأنه لم يرد طريق الفعل ، ولكن يراد أنها ذات لمم ،

---

(١) كتاب الطراز ٤١١/٢، ٤١٢ .

(٢) علم البديع ٣٠٧ . والحديث فى مسند الإمام أحمد ٣٦٨/٢ ، السنن الكبرى للبيهقى ٣٦٩/٣ .

(٣) الصناعتين ٢٨٦/٢ ، والمثل السائر ١٩٦/١ والحديث فى مسند الإمام أحمد ٢٣٦/١ والهامة : تقع على غير ذوات السم القاتل ، ألا ترى أن النبى ﷺ قال لكعب بن عجرة: أيؤذيك هوام رأسك ؟ أراد بها القمل ، وسماها هوام لأنها تدب فى الرأس وتقم فيه ، والسامة – بتشديد الميم – تقع على ذوات السموم من الهوام ، والعين اللامة : هى التى تصيب الإنسان .

فقيل على هذا لامة كما قال النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب ∴ .....

ولو أراد الفعل لقال : منصب [١].

وقوله ﷺ : " ارجعن مأزورات غير مأجورات " [٢] وإنما أراد : موزورات من الوزر ، فقال : مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة السجع . قال ابن منظور : " مأزورات أصله : موزورات ، ولكنه أتبع مأجورات ، ولو أفرد لقال موزورات ، وهو القياس ؛ لأنه من وزر يزر وزراً ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [٣] ، وقد قيل : مأزور غير مأجور ، لما قابلوا الموزور بالمأجور قلبوا الواو همزة ليتألف اللفظان ويزدوجا " [٤].

وكذلك قوله ﷺ : " خير المال مهرة مأمورة ، وسكة مأبورة"[٥] والقياس : مؤمرة ، فجاء بها لمكان أختها قال ابن منظور : " قال أبو عبيدة فى قوله : مهرة مأمورة : إنها الكثيرة النتاج " [٦]والنسل ، قال : وفيها لغتان ، قال أمرها الله فهى مأمورة ، وآمرها الله فهى مؤمرة ، وقال غيره : إنما هو مهرة

(١) يراجع : الصناعتين ٢٨٦/٢ ، والمثل السائر ١٩٦/١ ، لسان العرب ٣٣٤/١٢ لمم .

(٢) الصناعتين ٢٨٦/٢، المثل السائر ١٩٦/١ والحديث فى سنن ابن ماجة٥٠٣/١ رقم ١٥٧٨ كتاب الجنائز ، باب : ما جاء فى اتباع النساء الجنائز ، والسنن الكبرى للبيهقى ٧٧/٤

(٣) سورة النجم : آية ٣٨ .

(٤) وقيل : هو على إبدال الهمزة من الواو فى أزر ، وليس بقياس ؛ لأن العلة التى من أجلها همزت الواو فى وزر ليست فى مأزورات . " لسان العرب ٢٨٥/١٥ وزر .

(٥) مواد البيان ص٢١٦ والحديث فى فتح البارى . ابن حجر ٣٩٥/٨ ط دار الفكر ، مجمع الزوائد ٢٥٨/٥ ، والمأمورة : الكثيرة النسل ، والسكة : الطريقة المصطفة من النخل ، والمأبورة : الملقحة ، والمعنى : خير المال نتاج أو زرع .

(٦) وقد قيل : إن معنى " أمرنا مترفيها " كثرنا مترفيها .

مأمورة للازدواج ؛ لأنهم أتبعوها مأبورة ، فلما ازدوج اللفظان جاءوا بمأمورة على وزن مأبورة " [١].

ويقول ابن قيم الجوزية : " وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون : أتيتك بالغدايا والعشايا ، وهنأنى الطعام ومرأنى ، وأخذه ما حدث وما قدم ، وانصرفن مأزورات غير مأجورات ، وقال – عليه الصلاة والسلام – : انفق بلالٌ ولا تخش من ذى العرش إقلال ، مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم فى ذلك " [٢].

ويقول الخطيب : " واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها ؛ لأن الغرض أن يزاوج بينهما ، ولا يتم ذلك فى كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت . لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع " [٣].

وخلاصة نص كل من ابن قيم الجوزية والخطيب أن العرب كانوا يترخصون لحسن المزاوجة فى الخروج عن موضوع اللفظ ، كما كانوا يلجأون إلى تسكين العجز ، والوقف حتى لا يفوت السجع، وقد نص ابن يعقوب المغربى (ت:١١١٠هـ) على ذلك حيث يقول : " فإذا كانوا يترخصون لحسن المزاوجة فى الخروج عن موضوع اللفظ... فلأن يغتفر الوقف والخروج عن الإعراب لكونه صحيح الاعتبار لاكتساب حسن ازدواج السجع أولى

(١) لسان العرب ٢٠٥/١ أمر .

(٢) الفوائد المشوق ٢٥٣ ، وينظر: الإيضاح ٢٢٣ وشروح التلخيص ٤٥١/٤ .

(٣) الإيضاح ٢٢٣ ، شروح التلخيص ٤٥٠/٤، ٤٥١ .

واحرى" [١] . فالغداة لا تجمع على الغدايا ، وإنما جمعها غدوات ، ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا ، فإذا أفردوه لم يكسروه[٢] وقولهم : هنأنى الطعام ومرأنى : جاءت مرأنى بغير ألف ، لأنهم أتبعوها هنأنى ، فإذا أفردوها قالوا : أمرأنى . قال ابن منظور : " أمرأنى إذا أتبعوها هنأنى قالوا : مرأنى ، فإذا أفردوه عن هنأنى قالوا : أمرأنى ، ولا يقال : أهنأنى" [٣] .

أما قولهم : أخذه ما حدث وما قدم ، أى ما أحدث ، لكنه جاء على هذه الصورة من النظم ليزاوج قوله : وما قدم [٤] .

أما قوله ﷺ : " انفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا"[٥] فقد خالف قواعد اللغة [٦] قصداً للازدواج والسجع ، وكل هذا يؤذن بفضيلة السجع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف .

وفى حديث سؤال الملكين للكافر : " لا دريت ولا تليت " [٧] وكان الأصل أن يقال : ولا تلوت [٨] ومعناه : ولا قرأت ، فقلبوا الواو ياء ليزدوج الكلام مع دريت .

---

(١) مواهب الفتاح ٤٥١/٤ .

(٢) قال ابن منظور : " قال ابن السكيت : ... أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج ، وإذا أفرد لم يجز ، ولكن يقال : غداة وغدوات لا غير " . [اللسان ٢٧/١٠ غدا] .

(٣) لسان العرب ٦٢/١٣ مرأ .

(٤) وهو جزء من حديث ابن مسعود حينما أتى النبى ﷺ فسلم عليه وهو يصلى فلم يرد عليه ، قال : فأخذ ما قدم وما حدث ، أى الحزن والكآبة ، يريد أنه عاودته أحزانه القديمة واتصلت بالحديثة ، وقيل معناه : غلب علىّ التفكير فى أحوالى القديمة والحديثة أيها كان سبباً لترك ردّه السلام علىّ . [اللسان ٦٤/١١].

(٥) مجمع الزوائد ١٢٦/٣ ، اتحاف السادة المتقين ١٤٠/٧ .

(٦) حيث إن اللغة تتطلب بناء بلال على الضم لأنه علم مفرد منادى ، وكذا نصب إقلال لوقوعه مفعولاً لـ تخش .

(٧) إصلاح خطأ المحدثين . الخطابى حديث رقم ٣٣ .

(٨) دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية ص١٢ .

والنبى ﷺ كان يتوخى السجع ويقصده كثيراً ما طابق المعنى، ووقع فى الموقع اللائق به ، وأعجز من يروم تبديله وجود ما ينوب منابه من الألفاظ ، أما إذا لم يطابق المعنى فإنه ﷺ يعدل عنه . يقول العسكرى : " وقد اعتمد فى موضع تجنب السجع وهو معرض له ، وكلامه كان يطالبه ، فقال : وما يدريك أنه شهيد ... لعله كان يتكلم بمالا يعنيه ، ويبخل بما لا ينفعه [١] ... ولو قال : بما لا يغنيه لكان سجعاً ... والحكيم العليم بالكلام يتكلم على قدر المقامات ، ولعل قوله : ينفعه ، كان أليق بالمقام فعدل إليه " [٢] .

٦- تفضيل العرب له باستخدامهم إياه فى خطبهم وأمثالهم وحكمهم ، واستمر ذلك فى عصر صدر الإسلام والعصرين الأموى والعباسى ، وكذلك ما بعدهما إلى يومنا هذا ، يقول العلوى: " وكلام أمير المؤمنين مملوء منه ، وكلام البلغاء أيضاً... وفى هذا دلالة قاطعة على كونه مقولاً مستعملاً فى ألسنة الفصحاء فى المقامات المشهورة والمحافل المعهودة " [٣] ثم يقول : " فأما الأمثلة من كلام أمير المؤمنين فهى كثيرة ، وله فيها اليد البيضاء ، والقدم السابقة ، منها قوله فى خطبته الغراء ... أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، الذى ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال ، وألبسكم الرياش ، وأرفع لكم المعاش " [٤] وبلغ على بن الحسن – عليهما السلام – قول

---

(١) الترغيب والترهيب . الحافظ المنذرى ٥٤١/٣ ط الحلبى . الدر المنثور . السيوطى ١٩٦/٦ ، إتحاف السادة المتقين ٢٢٥/٩ .

(٢) كتاب الصناعتين ٢٨٧/٢ .

(٣) كتاب الطراز ٤٠٧/٢ .

(٤) كتاب الطراز ٤١٢/٢ .

نافع بن جبير فى معاوية : كان يسكته الحلم ، وينطقه العلم ، فقال : بل كان يسكته الحصر ، وينطقه البطر ، ووقف الأحنف على الحارث بن معاوية المازنى فقال: رحمك الله أبا المورق ، كنت لا تحقر ضعيفاً ، ولا تحسد شريفاً [١]

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى (ت:٣٨٤هـ) : "ويسر له الفتوح شرقاً وغرباً ، ويمكنه من نواصى أعدائه سلماً وحرباً ، ويجعله فى أحواله كلها سعيداً محظوظاً ، وبعين رعايته ملحوظاً محفوظاً ... وهذا كله سجع يتبع المعانى غير متكلف ولا مستكره ، وأمثاله أكثر من أن تحصى " [٢] ولأجل كثرته لا يكاد بليغ من البلغاء يرتجل خطبة أو يقول موعظة ، إلا ويكون أكثر كلامه مبنياً على السجع وهذا كله يبرز أهمية السجع المطبوع فى الكلام ، والذى يظهر أثره فى حسن تقبله وسرعة حفظه .

٧- ولأهمية التناسب فى الكلام وجدنا العرب يغيرون فى بنية بعض الكلمات أحيانا من أجل المحافظة على السجعة ، كما قال ابن مقبل أو القلاخ بن حبابة [٣] :

هناك أخيبة ، ولاج أبوبة ∴ يخالط البر منه الجد واللينا

فقال : أبوبة جمع باب ، وحقه أن يقول : أبواب [٤] وإنما قال: أبوبة للإزدواج لمكان أخيبة ، " ولست أقول إنّ تطلب الأسجاع ، وغيرها من أثواب البديع بعسف واستدعاءها بعنف مما يصقل فرند الكلام ، ويزيد فى جوهر

(١) سر الفصاحة ١٧٧ .

(٢) سر الفصاحة ١٧٨ .

(٣) لسان العرب ٥٣٢/١ بوب .

(٤) تفسير التحرير والتنوير . الطاهر بن عاشور ٣٧٨/٢٩ الدار التونسية للنشر .

النظام ، لكن أقول : إن الحسن أن يكون الكلام مطرداً متسقاً، فإذا تهيأت للمتكلم فرصة السجع انتهزها ورقمها فى الموضع الأشبه بها ، فإن جاد الخاطر فى جمع الكلام بالسجع من غير تكلف يخمد نور المعنى ، ويغض من رواته وبهجته فهو أشف وأشرف " [١] وهذا ما ردده البلاغيون كثيراً .

وأخيراً ينبغى أن نشير إلى أن بعضاً ممن استحسن السجع ، ذكر شروطاً تسوغ استحسانه ، فقد قال ابن وهب : " ومن أوصاف البلاغة : السجع فى موضعه ، وعند سماح القريحة به ، وأن يكون فى بعض الكلام لا جميعه " [٢].

وقال ابن الأثير : " فالكلام المسجوع إذاً يحتاج إلى أربع شرائط : الأولى : اختيار مفردات الألفاظ ... الثانية : اختيار التركيب ... الثالثة : أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعاً للمعنى ، لا المعنى تابعاً للفظ ، الرابعة : أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على المعنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها ، فهذه أربعة شرائط لابد منها " [٣].

ومن جملة ما سبق نستطيع أن نقول : إن السجع يقبل ويستحسن بشروط ، أهمها :

١- أن يأتى فى موضعه من الكلام ، وهذا يبرز شدة ارتباطه بما قبله ، بحيث ينحدر على الأسماع انحداراً ، ويتحقق معه الإيقاع الحسن ، والانسجام الموسيقى ، فيكون ما قبله تمهيداً له ، ولو حذف أو استبدل لاختل الإيقاع وذهبت الموسيقى .

٢-أن تسمح القريحة به ، فلا يتكلف ولا يتصنع ، بل يكون فطرياً عفوياً ، يتبع

(١) مواد البيان ص٢١٧ .

(٢) البرهان فى وجوه البيان ص١٠٧ .

(٣) المثل السائر ١٩٩/١، ٢٠٠ .

اللفظ فيه المعنى ، ويسوقه نحوه ، ولو سكت عنه لاستطاع السامع أن يأتى به انسياقاً مع الطبع والذوق السليم .

٣- أن يسلم من العيوب التى تعكر صفوه ، وأن يكون فى بعض الكلام لا جميعه - ما لم يكن صاحبه قد ملك رقاب الكلم - لأن الإكثار منه قد يوقع فى التكلف ، فإذا توافرت هذه الشروط فإنه يجئ فى غاية الحسن .

خاتمة

بعد عرض هذه القضية بما اشتملت عليه من رفض أو قبول، والوقوف على ما فيها من شبه وردود وأدلة ، يمكن رصد النتائج التالية :

١- السجع واحد من المحسنات البديعية اللفظية ، وهو فى اللغة مأخوذ من سجع الحمامة ، وهو موالاة صوتها على طريق واحد ، وفى الاصطلاح يطلق على توافق الفاصلتين أو الفواصل فى الحرف الأخير .

٢- السجع يمثل الموسيقى الظاهرة فى اللغة العربية ، وقد اشتهرت باستخدامه منذ العصر الجاهلى ، وحتى العصور المتأخرة .

٣- أن السجع يساعد على حفظ الكلام ، واختزانه فى الذاكرة ؛ لسهولة ترداده وتذكره ، ومن هنا جاء تفضيل العرب له باستخدامهم إياه فى خطبهم وأمثالهم وحكمهم .

٤- أن مراعاة السجع قد يساعد على حسم خلاف فى حكم فقهى ، وقد أفاض العلماء فى وجوه حسنه .

٥ - لما جاء الإسلام أخذ سجع الكهان فى الانقراض ؛ لأن أصحابه كانوا يدعون معرفة الغيب ، فامتنع المسلمون عن إتيانهم بعدما عرفوا أن الغيب مما استأثر الله بعلمه ، لكنه قد صاحب الإسلام ظهور نوع جديد من السجع أعرق من سجع الكهان فى الكذب والضلال ، وأكثر منه اضطراباً فى النظم ، وسماجة التركيب وهو سجع مدعى النبوة .

٦ -كثر ورود السجع فى القرآن الكريم ، لما له من تأثير بإيقاعه الصوتى يكسب التعبير جهارة وتدفقاً وتأثيراً .

٧- بعض العلماء يكره استعمال السجع فى الكلام ؛ لشبه أفاض البحث فى عرضها والكشف عنها ، والبعض الآخر يستحسن استعماله ، ويدافع عنه ، وقد جاء ذلك مفصلاً فى البحث .

٨ - أوضح البحث أن النظم القرآنى قد يسلك طرقاً متعددة مراعاة للسجع .

٩- أنه ﷺ كان يغير الكلمة من وجهها للموازنة بين الألفاظ ، وإتباع الكلمة أخواتها .

١٠- أن العرب كانوا يغيرون فى بنية الكلمة أحياناً من أجل السجع

١١- رد البحث شبه المانعين ، وأيد رأى المجوزين ، لكنه لم يرد السجع على إطلاقه ، ولم يقبله على إطلاقه ، بل شرط استعماله على وجه مرضى .

وبعد

فهذه أراء العلماء فى السجع من حيث القبول والرفض ، آمل أن أكون قد وفقت فى جمعها ، وعرضها ، وأن تنال القبول ، وتحوذ التقدير .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

د/محمد أحمد أبو زيد

فهرس المصادر والمراجع

١ - إتحاف السادة المتقين . الزبيدى . تصوير بيروت .

٢ - الإتقان فى علوم القرآن . الزركشى . تح/ عبد الحميد هنداوى ط أولى ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية .

٣ - إصلاح خطأ المحدثين . الخطابى . تصوير بيروت .

٤ - الإكسير فى علم التفسير . سليمان بن عبد القوى البغدادى ط ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م - دار الأوزاعى .

٥ - كتاب الأغانى . أبو الفرج الأصفهانى . ط وزارة الثقافة .

٦ - الإيضاح فى علوم البلاغة . الخطيب القزوينى ط دار الجيل . بيروت.

٧ - البرهان فى علوم القرآن . السيوطى . ط دار فجر النيل للطباعة والنشر

٨ - البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى . د/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة .

٩ - البيان والتبيين . الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) ط دار الفكر .

١٠ - التاريخ الكبير . البخارى . تصوير بيروت .

١١ - الترغيب والترهيب . الحافظ المنذرى ط الحلبى .

١٢ - تفسير التحرير والتنوير . الطاهر بن عاشور . الدار التونسية للنشر.

١٣ - ثمار القلوب . الثعالبى . ط دار المعارف .

١٤ - التمهيد . ابن عبد البر ط المغرب .

١٥ - ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن . للخطابى والرمانى وعبد القاهر - ط رابعة . دار المعارف .

١٦ - الجامع الصحيح للترمذى تح الشيخ / إبراهيم عطوة عوض - ط دار الحديث .

١٧ - دراسات فى المعانى والبديع . دكتور / عبد الفتاح عثمان. مطبعة التقدم ١٩٨٣م .

١٨ - دراسة بلاغية فى السجع والفاصلة القرآنية د/ عبد الجواد محمد طبق ط أولى ١٩٩٣م دار الأرقم .

١٩ - الدرر المنثرة فى الأحاديث المشتهرة . السيوطى ط الحلبى .

٢٠ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . السيوطى (ت:٩١١هـ) ط دار المعرفة .

٢١ - سر الفصاحة . ابن سنان ط أولى ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية . بيروت.

٢٢ - سنن ابن ماجة تح/ محمد فؤاد عبد الباقى ط ١٣٩٥هـ دار إحياء التراث الإسلامى .

٢٣ - السنن الكبرى . البيهقى (ت:٤٥٨هـ) ط دار الفكر .

٢٤ - سنن النسائى بشرح السيوطى ط أولى ١٣٨٣هـ مطبعة الحلبى .

٢٥ - شرح رسالة الرمانى فى إعجاز القرآن . مجهول المؤلف ط أولى ١٤١٧هـ دار الفكر العربى .

٢٦ - شروح التلخيص ط دار السرور . بيروت .

٢٧ - الصبغ البديعى د/ أحمد موسى ط ١٣٨٨هـ دار الكتاب العربى .

٢٨ - علم البديع د/ بسيونى فيود ط ثانية ١٤١٨هـ مؤسسة المختار . القاهرة .

٢٩ - فتح البارى . ابن حجر ط دار الفكر .

٣٠ - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان . ابن قيم الجوزية . مكتبة المتنبى . القاهرة .

٣١ - كتاب أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجانى . تح/ محمد محمود شاكر ط أولى ١٤١٢هـ . المدنى .

٣٢ - كتاب الصناعتين . أبو هلال العسكرى تح/ مفيد قميحة ط ثانية دار الكتب العلمية .

٣٣ - كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . العلوى ط أولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية .

٣٤ - كتاب المطول فى شرح تلخيص المفتاح . التفتازانى . مطبعة أحمد كامل . المكتبة الأزهرية للتراث .

٣٥ - الكشاف . الزمخشرى . ط دار عالم المعرفة .

٣٦ - لسان العرب . ابن منظور ط ثالثة ١٩٩٩م دار إحياء التراث العربى

٣٧ - المثل الثائر فى أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير تح/ محمد محي الدين عبد الحميد ط١٤١١هـ المكتبة العصرية . صيدا .

٣٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . الهيثمى . مطبعة القدسى .

٣٩ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية . المجمع العلمى بفاس . مكتبة ابن تيمية .

٤٠ - المسند . الإمام أحمد بن حنبل ط دار الفكر .

٤١ - معجم تهذيب اللغة . الأزهرى تح د/ رياض ذكى قاسم ط أولى ١٤٢٢هـ دار المعرفة . بيروت .

٤٢ - مفتاح العلوم . السكاكى . تح/ عبد الحميد هنداوى ط أولى ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية .

٤٣ - مواد البيان . على بن خلف . تح د/ حسين عبد اللطيف . منشورات جامعة الفاتح .